

السياسة الدعائية لدول المحور في البلاد العربية

عشية وأثناء الحرب العالمية الثانية

د. راغب العلي

جامعة دمشق-قسم التاريخ

وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها بانهايار الإمبراطورية العثمانية وسيطرة فرنسا وبريطانية على البلاد العربية بعد طرد الألمان منها وإجبارهم على ترك مستعمراتهم وامتيازاتهم فيها⁽¹⁾. وفي عهد جمهورية فايمر Weimar لم يبق الألمان في البلاد العربية إلا بنشاط محدود، لأن التخلص من قيود معاهدة فرساي Versailles، وتجنب الاحتكاك مع فرنسا وبريطانية اللتين كانتا تسيطران على البلاد العربية كان الشغل الشاغل للسياسة الألمانية. إضافة إلى ذلك، فإن ألمانية لم تمتلك مقومات ووسائل مادية وعسكرية مثل الأسطول والأموال تمكنها من القيام بمشاريع في البلاد العربية. وبتسمية أدولف هتلر Adolf Hitler قائد الحزب القومي الاشتراكي العمالي الألماني مستشاراً لألمانية في 30 كانون الثاني 1933، قامت الديكتاتورية النازية التي جرت إلى عواقب وخيمة باضطهادها بلا رحمة ولا هوادة الحركة السياسية التقدمية وبشكل خاص الحركة العمالية.

وقد هدف برنامج الديكتاتورية النازية إلى تحقيق السيطرة العالمية، وشكلت العنصرية الشوفينية العنصر الأساسي للإيديولوجية النازية ومن خلال الترابط المحكم بين الديماغوجية القومية والاشتراكية، ومن خلال الابتزاز السياسي والضم بالقوة والتعبئة الصارمة للاقتصاد والموارد الأخرى، ومن خلال بناء الجيش القومي خلقت الديكتاتورية النازية حتى آب 1939 الشروط

الداخلية والخارجية لتنفيذ خططها في السيطرة العالمية⁽²⁾ لقد أرادت النازية الألمانية مد سيطرتها على البلاد العربية بالاشتراك مع الإيطالية الفاشية وإسبانية فرانكو، وكان هذا جزءاً من المخطط الذي يرمي إلى السيطرة العالمية. فقد طمحت النازية الألمانية إلى احتلال البلاد العربية هادفة إلى توسيع مناطق نفوذها في منطقة تتميز بأهميتها الاستراتيجية لخطة الحرب الألمانية الهتلرية، حيث كانت مصدراً هاماً للمواد الخام، وسوق تصريف هائل للإنتاج الألماني.

لقد طمحت ألمانية بالاستيلاء على مرافق البترول في كركوك وعبادان وخانقين والكويت وأنابيب البترول الذاهبة إلى طرابلس وحيفا. ومصافي البترول فيها⁽³⁾، ولم تكن المواد الأولية في المناطق العربية هي محط أنظار ألمانية فحسب، بل تجاوزتها إلى المنتجات الزراعية كالقمح والشعير والبخور والقطن والبقول والجلود والفراء والماشية أيضاً⁽⁴⁾. وقد عرض ربنتروب Ribbentrop⁽⁵⁾ في نشرة سرية في 20 آب 1940 الأهداف المستقبلية لألمانية الهتلرية في المنطقة بشكل صريح. ومع أن ألمانية كانت تنوي في البداية ترك الأولوية لإيطالية في التشكيلات السياسية للمنطقة العربية إلا أن هذا لا يعني إلغاء متابعة اهتمامات ألمانية السياسية والاقتصادية في هذه المنطقة. وهذا ما ورد في النشرة السرية بالقول "مطالب ألمانية تسري في المشاركة في استغلال آبار البترول، وتأمين خطوطها الجوية، ومتابعة أعمالها التنقيبية الأثرية"⁽⁶⁾.

لذلك انتهجت القيادة النازية في المنطقة العربية منهجين: الأول يتميز بالبحث عن كل ما يؤدي إلى ثقة الشعب العربي بدول المحور، وقد حاول المحور بمساعدة أجهزة دعايتهم أن يضلل قسماً من العرب ويقنعهم بأنه حليفهم في النضال ضد السلطة الاستعمارية، وبأن انتصار دول المحور على فرنسة وبريطانية سيجلب الحرية للشعب العربي. ومن أجل استثارة الرأي العام

العربي ضد الاستعمار، بذل الألمان إمكانيات متعددة للدعاية، حيث وجهت برامج إذاعية هادفة إلى الغاية ذاتها وأصدرت منشورات سرية موجهة، ولكن هذه الديماغوجية النازية والفاشية لم تستطع أن تحقق إلا نجاحات جزئية ولفترات قصيرة. أما المنهج الثاني: قيام ألمانية وإيطالية بقيادة الحرب في المنطقة العربية من أجل تثبيت أقدامها فيها. فبينما حارب جيش الرايخ الألماني على مسرح الحرب الأوروبي، قادت إيطاليا الفاشية الصديق الحميم لألمانية هتلرية العمليات الحربية في شمال إفريقيا⁽⁷⁾.

وللوصول إلى الهدف الأول، عمدت ألمانية النازية إلى إعادة تنظيم تجمعات الرايخ بشكل كامل. وخلال عامي 1936-1938 ارتفع الأعضاء فيها من 40.000 إلى مليون وذلك من أجل التحضيرات للحرب الإيديولوجية الدعائية⁽⁸⁾. وكان من مهام هذه التجمعات نشر سياسة الاستعمار الفاشية والنازية، والتي كانت تشمل كل مجالات الحياة الاجتماعية. وقامت به وزارة الرايخ للدعاية والتوضيح للشعب، والتي أسست في آذار 1933 م.

وقد أسندت هذه الوزارة إلى جوزيف غوبلز Joseph Gobbels⁽⁹⁾. وقد وفرت لها حتى عام 1939، وسائل كثيرة للدعاية ومنها 3500 جريدة يومية، 15.000 مجلة وخمسة عشر جهاز إرسال يقوم باستقباله أكثر من 10.820.000 راديو وكذلك 9300 سينما يزورها سنوياً أكثر من 447 مليون مشاهد. وفي عام 1939 نُشر في 3250 مطبعة ألمانية أكثر من 20.000 كتاب باللغة الألمانية. كل هذا وُضع من قبل الدولة النازية تحت تصرف هذه الوزارة. وعلى أساس هذه الأهمية ارتفعت ميزانية وزارة الدعاية بشكل كبير. ففي عام 1934 رصد لها مبلغ 26.1 مليون مارك ألماني، وفي عام 1935 كان

في صندوقها مبلغ 40.8 مليون مارك، وفي عام 1936، رصد لها مبلغ 70.7 مليون مارك ألماني⁽¹⁰⁾.

وبهذه الوسائل استطاعت وزارة دعاية الرايخ الوصول إلى مختلف القطاعات والأقسام، وقامت وزارة الدعاية بإخضاع الصحافة والراديو والمسرح والأفلام والموسيقى والثقافة من أجل تحضيرات الحرب الإيديولوجية. كانت وظيفة الدعاية إدارة وتوجيه التضليل الفكري للشعب الألماني، وبشكل خاص تحديد وإقرار الطرق والأهداف للعمل الدعائي المختلف. وكانت هناك دعامة رئيسة أخرى للتأثير النازي، وهي الوظيفة الأساسية، تنظيم الشعب بشكل كامل في منظمات، ويرجع ذلك إلى الحزب النازي الوحيد مع منظماته وتفرعاته المحكمة. وفي هذه المنظمات أثر اتباع الحزب النازي بشكل قوي في تقوية الإيديولوجية النازية⁽¹¹⁾. وكان ضمّ الألمان الذين يقطنون في الخارج لصالح التحضير لحرب عالمية جديدة جزءاً من السياسة الخارجية للنازية. وقد كان هدف الحزب النازي إدخال الألمان الذين يقطنون خارج ألمانيا في الدعاية النازية والفاشية، وبالتالي تعبئتهم وتنظيمهم لخدمة الحزب والحكم الهتلري. فمثلاً في فلسطين، كانت هناك إقليمية ألمانية وكان عددها في أواخر جمهورية فايمر حوالي 2500 نسمة. ولذلك اعتبرها الحزب النازي دعامة أساسية لعمل الرايخ، ولذا عمل على تنظيمها وإرسال المنشورات والكراسات والتعاميم الصادرة من الحزب النازي عن طريق القنصل العام في القدس. بالإضافة إلى أن الجمعيات التي كانت تهتم بالشرق، أخذت بتنظيم الطلاب العرب الذين يدرسون في ألمانيا. وخصّص الحزب النازي إحدى منظماته التي سميت بمنطقة الخارج Die Auslandsorganisation der NSDAP. وقد أنشئت هذه المنظمة في أول أيار 1931، وكان مقرها مدينة هامبورغ ولكن نشاطها لم يتضح إلا بعد عام 1934. وتولى رئاستها Ernst Bohle وضُمّت بأجهزتها إلى

وزارة الدفاع الألمانية. وكان من أهداف منظمة الشؤون الخارجية، رعاية الأقليات ومحاولة اكتسابها للمبادئ النازية، ولتوطيد الصلة بين هذه الأقليات وبين الوطن الأم، ومحاربة اندماجهم في المجتمعات الأجنبية⁽¹²⁾. وعملت المانية على تطوير علاقاتها التجارية مع البلاد العربية، فتطورت هذه العلاقات بشكل إيجابي، لكنها بقيت محدودة، لأن الدول الاستعمارية ادعت لنفسها الحق بالثروات الباطنية والأسواق. وقد بلغ حجم التجارة الخارجية مع الشرق الأوسط عام 1938، 7.3%، واحتل التصدير إلى فلسطين المركز الأول وإلى مصر المركز الثاني وتضاعف التبادل الاقتصادي بين أمة أنية والعراق ما بين عامي 1935-1938. وإلى جانب العلاقات الاقتصادية المتطورة نسبياً، حصلت مقابلات ممثلي النازية الألمانية وبين بعض المجموعات العربية. حيث عملت برلين وروما على الاتصال ودعوة القوميين العرب. ولذا ظهرت في البلاد العربية مجموعات تتجه إلى ألمانية وإيطالية، حيث رأت في القوة الألمانية الجديدة مثلاً يحتذى، وأعلنت أن ألمانية هي السند الأساسي لها في نضالها من أجل الحرية والاستقلال. وتشكلت منظمات شبه عسكرية من الشباب العربي في مدن الشرق العربي، مثل القمصان الحديدية والحرس الوطني في دمشق، والكشافة في حلب، الشباب العربي في حمص، الشباب الوطني في حماه، الفتوة والجوالة في العراق، الحزب القومي السوري في سورية ولبنان وفلسطين. وجرت لقاءات عديدة ومنها زيارة سعيد الإمام، وهو قومي سوري من دمشق، ومؤسس النادي العربي الجديد وجمعية الدارسين العرب في ألمانية، حيث أجرى في كانون الأول 1937 محادثات في برلين مع وزير الخارجية الألمانية ربننروب، وبعض ممثلي الوزارة مثل فون نوزاث Von Neurath وفون هنتغ Von Hentig⁽¹³⁾، وذلك لطلب المساعدة الاقتصادية والسياسية من أجل نضال الشعب العربي ضد المستعمرين الفرنسيين والبريطانيين⁽¹⁴⁾. والتقى حكمت

سليمان رئيس وزراء العراق، في 15 تموز 1937، مع الدكتور فريتس غروببا Dr.Fitz Grobba في بغداد للحصول على قرض مالي وإفشال مشروع التقسيم بفلسطين. والتقى بعض الوطنيين السوريين بالقنصل الألماني في بيروت فرديناند سيلر Ferdinand Seiler لتقديم أسلحة وذخيرة للثوار الفلسطينيين. وقام أمين الحسيني في 16 تموز 1937 بزيارة قنصل ألمانية العام وقناصل دول المحور في فلسطين. وفي كانون الثاني 1937 قابل محمد عزة دروزة يرافقه معين الماضي، الوزير المفوض الألماني في بغداد، وأوضح له أن استمرار الهجرة إلى فلسطين سيجعل اليهود الأكثرية في البلاد العربية. ولذا يجب الحد منها لأن انتصار العرب سيكون في مصلحة ألمانية. وفي نهاية شباط 1939، حضر بالدور فون شيراخ⁽¹⁵⁾ Baldur Von Schirach إلى دمشق⁽¹⁶⁾، وشارك في تأسيس ناد عربي جديد. وأعدت زيارة يقوم بها جوزيف غوبلر إلى مصر في أوائل عام 1938، ولكنها لم تتم إلا في شباط 1939. وفي 8 حزيران 1939، التقى خالد القرقيني، مستشار الملك السعودي مع ربنتروب لطلب الأسلحة للعربية السعودية⁽¹⁷⁾، وبناء مصنع للذخيرة فيها. وفي 17 حزيران استقبله هتلر، وتحدث عن عطفه على العرب، وأعلن عن استعداداته لأن يقدم المساعدة الفعالة للسعوديين.

وعملت ألمانية على تشجيع الرحلات والدراسة في ألمانية. وفي عام 1937 في أيار، علفت الأعلام الألمانية والإيطالية وصور هتلر وموسوليني في فلسطين بالاحتفال بعيد المولد النبوي. وقامت ألمانية بدعوة بعض الساسة العرب إلى مهرجانات الحزب النازي التي أقيمت في نورنمبيرغ Nürnberg ، بالإضافة إلى اللقاءات السياسية والاقتصادية، حيث كان لممثلي مصانع التسليح والتجارة في ألمانية وكذلك أتباع ألمانية في القنصليات والمفوضيات في بغداد، القاهرة، حيفا، القدس وبيروت، تأثير في نشر الأهداف السياسية والدعائية نتيجة

اتصالهم بالعرب. وكذلك الجاليات الألمانية في البلاد العربية حيث عاش 2000 ألماني في مصر و 2500 ألماني في فلسطين وأعداد كثيرة من هذه الشخصيات بحثت عن طرق مختلفة لنشر الأهداف الفاشية والنازية لدول المحور⁽¹⁸⁾. وكوسيلة أخرى للتأثير الدعائي النازي، لعبت المدارس الألمانية والمؤسسات التعليمية الأخرى دوراً هاماً.

في نهاية الثلاثينات، تعلم في العراق 300 طالب عربي اللغة الألمانية تحت إشراف أربعة معلمين ألمان، 30 طالباً منهم أوفدوا للدراسة في ألمانيا. وفي مصر وجدت أربع مدارس ألمانية، كان عدد العرب فيها 25% وتخرج 58 طالباً مصرياً من ألمانيا⁽¹⁹⁾.

كان هناك تعاون وثيق بين ألمانيا النازية وإيطالية الفاشية منذ عام 1932، حيث استخدم الراديو الإيطالي (باري) لنشر الإيديولوجية السياسية الفاشية والنازية. أما ألمانيا فلم تستخدم راديو برلين للبت في البلاد العربية إلا في عام 1938، مع العلم أن المكتب السياسي السابع كان يدعو إلى توجيه الإذاعات من داخل ألمانيا. لكن إدارة الشؤون الخارجية بالحزب النازي، رفضت ذلك لاعتبارات تتعلق بالعلاقات الإنجليزية الألمانية. ولم تبدأ برلين إذاعاتها اللاسلكية إلا في عام 1938، حيث قلَّ اهتمام الهتلريين بالشكليات بعد مؤتمر ميونخ. لقد علقت ألمانيا الهتلرية أهمية استراتيجية كبيرة على المنطقة العربية وعلى ثرواتها الباطنية، وكذلك كسوق لتصريف منتجاتها ضمن خطط سيطرتها العالمية. وكان يتبع لأهداف سياسة الغزو المحورية إزالة النفوذ المسيطر لكل من بريطانية وفرنسة في هذه المنطقة. وكانت حركة التحرر القومية المتصاعدة للشعب العربي ضد السلطة الاستعمارية قد عرضت مواقع هذه السلطة للخطر، ولهذا بذلت ألمانيا الهتلرية منذ منتصف الثلاثينات جهودها

في نصح الشعب العربي بأنها الحليف الطبيعي له في نضاله التحرري القومي. وتحت قناع السياسة الخالصة من كل غرض والصدقة تجاه الشعب العربي، بدا المحور وكأنه يؤيد ويدعم مساعي حرية هذا الشعب. انطلقت تصورات ألمانية الإستراتيجية والعسكرية والاقتصادية من أن نضال العرب من أجل الاستقلال القومي سيطوق عدداً كبيراً من وحدات الجيش البريطاني والفرنسي. وقد حدد الهدف في التوجيه السياسي لوزارة الخارجية الألمانية بشأن سياسة العرب في المناطق المحتلة من قبل إنكلترة وقد تضمن التوجيه ما يلي: "مساعدة كل تيارات مطامح الحرية للعرب، والموجهة ضد إنكلترة، وتكوين حكومات عربية قومية مرتبطة بعمل مشترك مع إيطالية حليف المحور⁽²⁰⁾". وإيضاً: "يجب أن يُدفع العرب الساعون لنيل حريتهم للاعتقاد بأن نصر دول المحور في دول الشرق الأوسط سيجلب لهم التحرر من سيطرة الانتداب⁽²¹⁾".

وكذلك: "ألمانية، التي لم تدع بأية مطالب إقليمية في المنطقة العربية، كانت بسبب النظرة المشتركة في المسألة اليهودية، الحليف الطبيعي للشعب العربي في كفاحه ضد إنكلترة⁽²²⁾".

وبذلت ألمانية جهودها في دعايتها للتجاوب مع اهتمامات الطبقات المختلفة للشعب العربي. في بداية سنة 1939 توسّع جهاز الدعاية الألماني النازي في المنطقة العربية بشكل ملحوظ. وقوي من جديد مع بداية الحرب العالمية الثانية في أيلول 1939، وكان لاستخدام الإذاعة أهمية خاصة في هذا المجال.

فقد رفعت البرامج المبنوثة باللغة العربية بشكل واضح، ومدت خلال النصف الثاني من عام 1940، حيث بُثّ من برلين يومياً أربعة برامج إذاعية باللغة العربية بمقدار بث 95 دقيقة لمجموعها، وكذلك برنامج باللغة المغربية

بمقدار ساعة. كما بثّ برامج إخبارية فرنسية مموّهة من باريس باللهجة المغربية، وكل برنامج منها بمقدار 40 دقيقة⁽²³⁾. وبدءاً من 5 أيار 1941، ارتفعت أعداد البرامج المرسلة من برلين باللغة العربية إلى خمسة برامج وأصبحت مدتها 205 دقائق. ومن أجل توسيع حلقة الاستماع من المنطقة العربية، ارتأى قسم الدعاية في وزارة الخارجية إرسال برامج باللغة العربية من أثينة، لكي يولد الانطباع والتأثير لدى العرب بأن هذا الإرسال إرسال يوناني. وكذلك وجدت تصورات من ألمانية بوجود بثّ إرسال مموه من ليبيا ومن جنوب إيطاليا يكون مخصصاً لسكان مصر، وهذا البث يجب أن يدعم القوة الوطنية في مصر. وقد رفضت ألمانية بثّ مثل هذه الإرساليات لسكان العراق والعربية السعودية، لأن ألمانية تعاونت مع حكومات هذه الدول وبالتالي، لا تريد أن تترك انطباعاً لديها بأنها تحمي إرسالات مناوئة⁽²⁴⁾. واتبعت إيطاليا حليفة ألمانية سياسة إذاعية مشابهة في المنطقة العربية. إن القواسم المشتركة لكل الإرساليات المبنوثة كان إيقاظ الأصوات المعادية لبريطانية وفرنسة عند العرب. وبمهارة فائقة استخدمت الدعاية المحورية الشعور الديني والقومي للشعب العربي، حيث قامت باستخدام القرآن الكريم وذكر القصص التاريخية وأبطال العرب لإظهار الوعي الذاتي عند العرب واستخدامه للكفاح ضد السيطرة الاستعمارية.

وركزت الدعاية المحورية على القوة العسكرية الألمانية⁽²⁵⁾. وبجانب الدعاية الإذاعية، بذلت ألمانية الهتلرية جهوداً لإرسال كتيبات وبطاقات بريدية مصورة ومناشير للتأثير الهادف على قسم من الشعب العربي. وقد تمّ توسيع الأعمال الصحفية في قسم المعلومات في وزارة الخارجية، وحصلت بعض الجرائد والمجلات العربية في إسبانية ومراكش الإسبانية وأمريكا الجنوبية على الدعم الألماني المالي، وزوّدت بالمعلومات والمقالات. وقد حصلت جريدة الأمة

العربية/ التي يصدرها شكيب أرسلان⁽²⁶⁾ باللغة الفرنسية في جنيف على دعم مادي من الجهة الألمانية. وكذلك قام قسم المعلومات في وزارة الخارجية، بنشاط ملموس لدعم المقالات في الجرائد العربية في إسبانية والمغرب وجنوب أميركة. ونظمت وزارة الخارجية الألمانية التوزيع والمادة لمجلة بريد الشرق، التي تصدر كل أسبوعين من قبل محطة إذاعة الرايخ-Reichsrundfunkgesellschaft⁽²⁷⁾. وقامت المؤسسات الإذاعية الألمانية في شرق المنطقة العربية بنشاطات قليلة وذلك مراعاة لمطامع إيطالية في المنطقة. وجرى التخطيط لإرسال الدعم من خلال إرسال مراسلين ألمان للإذاعة في سورية وذلك لتقوية النفوذ الألماني في مجال الصحافة وتزويد جريدة النهار بالأخبار والتجهيزات. وقدم الدعم للجرائد السورية من خلال تأسيس خط تلفوني بين أنقرة وبيروت مرتين بالأسبوع، وكذلك إرسال جرائد وأفلام إلى بيروت ودمشق وحلب⁽²⁸⁾ وتركز الاهتمام على توسيع نشاط الجاسوسية والجاسوسية التخريبية التابعة لوزارة الدفاع الألمانية. وصدرت طبعة عربية لصحيفة خاصة بالقوات المسلحة الألمانية تسمى الإشارة Signal. لقد كان عمل وزارة الخارجية الألمانية توفير المادة وتنظيم التوزيع، حيث كانت الصحف ترسل بالبريد من ألمانيا إلى إسبانية ومراكش الإسبانية ومراكش- وتلقت الصحف العربية مادة المقالات والنشرات بانتظام من وكالتي الأنباء الألمانية D.N.B Transocean باللغة العربية.

وللوصول إلى الطريق الثاني، فقد ترك المجال لإيطالية لقيادة الحرب في المنطقة العربية، ولذلك اتصفت الأعمال العسكرية لألمانية الهتلرية في المشوق العربي بخاصة الأعمال الجانبية حيث كانت دعائية لإثارة الشعب العربي ضد إنكلترة وفرنسة وتطويق قواتها وأيضاً مساعدة إيطالية⁽²⁹⁾ بتثبيت أقدامها في المنطقة العربية، ريثما يتم الاستيلاء على الاتحاد السوفييتي. لقد بذل بعض

القوميين العرب جهوداً كبيرة من أجل الحصول على تصريح خطي من المحور بشأن استقلال العرب ووحدتهم، ولكنهم لم يحصلوا إلا على تصريح شفوي في 23 تشرين الأول 1940، أذيع بالراديو لمواجهة الدعاية البريطانية الكبيرة وكذلك لتسهيل عمل عملائهم ومخابراتهم، وقد جاء فيه (لقد نظرت ألمانية التي تكن مشاعر الصداقة للعرب، تحذوها الرغبة في أن يتمتعوا بالرخاء والسعادة ويحتلوا بين شعوب الأرض المكانة التي تتناسب مع أهميتهم التاريخية والطبيعية باهتمام مستمر إلى نضال البلدان العربية في سبيل الحصول على استقلالها، وبإمكان البلدان العربية أن تركز إلى الجهود التي تبذلها لتحقيق هذا الهدف على عطف ألمانية التام في المستقبل أيضاً). وفي إدلاء ألمانية بهذا التصريح، تجد نفسها على اتفاق تام مع حليفتها الإيطالية⁽³⁰⁾. هذا البيان أذيع من محطتي برلين وروما باللغة العربية بأن واحد في 2 كانون الثاني 1941 وأثار البيان ردود فعل كبيرة من قبل القوميين العرب. فقد بعثت اللجنة القومية في بيروت مذكرة إلى الحكومة الهتلرية في كانون الثاني 1941، بينت فيها أن مطلب العرب الأول هو قيام دولة عربية متحدة في آسية وبتلوها الاتحاد مع مصر، وإن العرب يتوقعون دعم ألمانية لأهدافهم. لكن ألمانية الهتلرية لم تكن تريد أن تؤكد على استقلال العرب ووحدتهم، لأن الشرق العربي يقع في منطقة المجال الحيوي لإيطالية، لذلك تلكأت في إصدار التصريح المناسب الذي طلبه أمين الحسيني والزعماء العراقيون حول مستقبل البلاد العربية، كما أنها خشيت ردود فعل حكومة فيشي تجاه سورية ولبنان، إضافة إلى ذلك كان على المحور أن يحسب حساب تركية، لا سيما وأن الأتراك كانوا يطعمون بحطب وربما الموصول.

أثارت الهزيمة الفادحة للجيش الإيطالية في شمال إفريقيا، قلق القواد العسكريين الألمان إلى حد كبير، ولهذا أصدرت هيئة الأركان في الجيش

الألماني أمراً بإرسال القوات إلى طرابلس في شباط وكانت وظيفتها: (إيقاف تقدم القوات المعادية وتحطيمها بواسطة استخدام هجوم قوات الدبابات)⁽³¹⁾. (يتطلب الوضع في منطقة البحر المتوسط تقديم مساعدات ألمانية لأسباب استراتيجية ونفسية، حيث حشدت بريطانية قوات متفوقة ضد حلفائنا)⁽³²⁾ وعندما تفاقم الوضع في العراق، بإسقاط الحكومة العراقية الموالية لإنكلترة واستلام حكومة رشيد عالي الكيلاني في 1 نيسان 1941، حيث أعلنت سياسة الحياد السياسي، وطلبت من الحكومة البريطانية سحب جيوشها، هذه الأحداث شجعت الجانب الألماني للقيام بهجوم سياسي. وأدركت ألمانية الهتلرية الأهمية الخاصة للثورة المضادة لبريطانية. ولذا أصدر هتلر في 23 أيار توجيهاً تضمن إرسال لجنة عسكرية إلى العراق وظيفتها حماية وقيادة الجيش العراقي وكذلك استطلاع إمكانية التنظيم العسكري للقوى الخارجية ضد الوحدات البريطانية(لقد قرر تشجيع ما يقع في الشرق الأوسط من تطورات عن طريق مساعدة العراق)⁽³³⁾. وتطورت أحداث العراق إلى الصدام بين القوات العربية والبريطانية المرابطة في قاعدة الحبانية وفي ميناء البصرة. لكن القوات البريطانية قضت على ثورة رشيد عالي الكيلاني في 30 أيار 1941. ورغم التدخل الهتلري المباشر في العراق وشمال إفريقيا، إلا أن القيادة النازية اعتبرتها أعمالاً جانبية في منتصف عام 1941، لأن تحضيراتها ضد الاتحاد السوفييتي كانت جارية وإخضاع الاتحاد السوفييتي له الأولوية، (وليس في الإمكان اتخاذ قرار نهائي بصدد ما إذا كان في الإمكان شن هجوم على قناة السويس لإخراج بريطانيا من مراكزها من المتوسط والخليج العربي، وكذلك بصدد ما يلزم لهذا الهجوم من وسائل قبل الانتهاء من عملية بربروسا)⁽³⁴⁾.

وبعد أن تقدمت الجيوش الألمانية في الأراضي الروسية، حدثت في نهاية حزيران تحضيرات قوية لأعمال عسكرية على المسرح الحربي في شمال

أفريقية للاستيلاء على قناة السويس. لقد كان هذا المخطط جزءاً من المشروع الإستراتيجي لهيئة أركان الحرب الألمانية من أجل الزحف القادم بعد النصر على الاتحاد السوفييتي. قدم هتلر الأساس لذلك في 11 حزيران 1941، بالتوجيه رقم 32 والمتضمن التحضيرات لمرحلة ما بعد بربروسا، ومضمون هذا التوجيه إقامة حركة كماشة مترامية الأطراف، ويتوجب على هذه الحركة تحطيم المواقع الإنكليزية في البحر المتوسط ووضعها تحت المراقبة الألمانية، والبدء بالهجوم بعد النصر على الاتحاد السوفييتي في تشرين الثاني 1941.

وهذا يتم بعد الزحف الأساسي من الشرق عبر تركيا، سورية وفلسطين، ويتبع هذا التوجيه تخطيط وتنسيق وتحضيرات دعائية وسياسية لاستخدام قوميين عرب موالين لألمانية⁽³⁵⁾. قال الوزير المفوض غروبا⁽³⁶⁾: إن القوات المتقدمة إلى المنطقة العربية من القوقاز عبر إيران سيرحب بها الشعب العربي إذا استطعنا حتى ذلك الوقت استغلال الوضع والإمكانات للتأثير بشكل دعائي وسنضم عدداً كبيراً من المتطوعين إلى القوات الألمانية⁽³⁷⁾. وبهدف تنظيم وتنسيق الإجراءات التي تخدم التحضيرات لمرور جيش الرايخ في المنطقة العربية، فقد وضعت وزارة الخارجية مجموعة من الأشخاص تحت تصرف غروبا. وخلال عمل هذه المجموعة انصهرت العناصر العسكرية والدعائية في وحدة كاملة وكان من الواجب جعل الجو والأرض مهيأين ومناسبين لنشر التأثير النازي والفاشي في المنطقة العربية⁽³⁸⁾. وبدأت أيضاً الهيئة المشتغلة بالمسائل العربية باتخاذ تدابير للفترة ما بعد الاستيلاء المخطط للاتحاد السوفييتي، حيث خطط لتشكيل حكومات للعراق وسورية وإيران في تقليص. وتوجيه نداء لهذه الشعوب لبدء المقاومة. وقد حضرت الأجهزة الدعائية الضرورية لتنفيذ هذه الوظائف⁽³⁹⁾. ولم تكتف الدعاية فقط من خلال إرسالات الإذاعة والمنشورات أو الرسائل بل، استخدمت وزارة الخارجية وهيئة الأركان

العامة أيضاً المتطوعين العرب⁽⁴⁰⁾ المؤهلين من قبل الأركان الخاصة ف Sonderstabes F في كاب سونيون بأثينة⁽⁴¹⁾. وبذلك ترابطت الوظيفة الدعائية مع الوظائف العسكرية للأركان الخاصة، وكان من الواجب تأهيل قسم خاص من العرب، الذين وعدوا بالدراسة في ألمانية للدعاية والتخريب والجاسوسية⁽⁴²⁾.

مع انتصارات المحور في شمال إفريقية ازداد اهتمام المحور بالدعاية الموجهة إلى البلاد العربية ولذا عمل المحور على إنشاء مركز الأنباء العربي Arabische Nachrichten Dienst في 30 آذار 1942، وتولى إدارته الصحفي اللبناني عفيف الطيبي، وكان للمركز مندوب في صوفية حيث يزوده يومياً بالأنباء وينقلها أيضاً إلى الإذاعة العربية في أثينة. وأصدر المركز نشرة إخبارية يومية مع تعليق سياسي على الأنباء ومقاليتين تذيعهما الإذاعتان العربيتان من برلين وأثينة، وكان يصل إلى هذا المركز خمس عشرة صحيفة عربية من مختلف الأقطار العربية. وكان للمركز مندوبان في أنقرة وبخارست، وعمل مع مدير المركز ثلاثة أشخاص عرب، وكذلك ريكوفسكي Rekwski مع مدير للتحرير. إضافة إلى ذلك فقد لعب المعهد الإسلامي المركزي Islamische Zentral Institut دوراً إعلامياً حيث كان يقوم بترجمة خطاب أمين الحسيني في المناسبات العربية والإسلامية ويقوم بنشرها بالألمانية⁽⁴²⁾. لكن بعد معركة ستالينغراد والأحداث في مسرح الحرب في شمال إفريقية أصبح من غير الممكن تطبيق أهداف التوجيه رقم 32 عملياً في الواقع، وهذا ما أثر بشكل مباشر على عمل المجموعات التي تهتم بالمسائل العربية في وزارة الخارجية. فكانت الوظائف الأساسية لهذه المجموعات هي التحضير وإعداد المشرق العربي عسكرياً ودعائياً وحربياً لزحف جيش المحور.

وكان تراجع قوى المحور في تونس ونزول الأمريكيين في الدار البيضاء والجزائر ووهران أن تطلبت من المحور أعمالاً دعائية سريعة، هذا

الوضع انعكس بشكل خاص في الأخبار اليومية للدعاية الألمانية في مسرح الحرب في شمال إفريقية، في تونس، منذ تشرين الثاني 1942. وبالتعاون بين وزارة الخارجية والقيادة العليا لجيش الرايخ أرسلت في منتصف تشرين الثاني حملة دعائية إلى تونس بقيادة الرائد ميمرت Mehmert الذي كان عليه أن يمارس الدعاية لسكان تونس ولبقية سكان شمال إفريقية بحسب إرشادات وزير الخارجية ربنتروب⁽⁴⁴⁾. وقام الدكتور ميجرلي Mwgerle وقنصل ألمانية في الجزائر الدكتور أور Auer بوضع توجيهات دعائية جديدة، ولكن بقيت بنفس الإطار السابق ولم تتعد الخطوط العريضة للإذاعات والنشرات السابقة والتي تتسم بهجمات المحور على الحلفاء واليهود والشيوعية والماسونية والجمهورية الشعبية.

ولذلك كانت التوجيهات الإذاعية قاصرة عن اتخاذ أي قرار سياسي حول مستقبل بلدان شمال إفريقية، مراعاة لإسبانية وفرنسة وإيطالية. في مطلع عام 1943 حوصرت القوات الألمانية والإيطالية عند تونس وأجبرت على الاستسلام في أيار 1943، وبذلك فشلت نوايا المحور في المنطقة العربية بشكل نهائي ولم تستطع تحقيق أي هدف من أهداف الحرب.

ولذلك اقتصرَت الدعاية بعد الهزيمة في تونس على الراديو وذلك بسبب عدم القدرة على تأمين المنشورات وتوزيعها. لأن استخدام الجو يستلزم استعداداً سابقاً، ولم يعد ثمة مجال لتنظيم وحدات عربية تقوم باستقبالها وتوزيعها.



(1)- بلغ مجموع رأس المال الألماني في الدولة العثمانية ما يقارب 500 مليون مارك حتى عام 1912، إضافة إلى الديون الكبيرة، على حين بلغ مجموع الممتلكات البريطانية 1000 مليون مارك. وكان الألمان في 25 تشرين الثاني 1899، قد حصلوا على امتياز من السلطان العثماني لمد سكة حديد بغداد. وفي عام 1898، زار القيصر الألماني وليم الثاني Wilhelm II فلسطين ودمشق وأعلن بأن ألمانيا سوف تساعد كل مسلمي العالم. إضافة إلى أن ألمانيا امتلكت كثيرا من المواقع دعت بالمستعمرات الألمانية في القدس ويافا وحيفا وكذلك المستعمرات الريفية وللمزيد أنظر: محافظة/ علي/ العلاقات الألمانية الفلسطينية من إنشاء مطرانية القدس البروتستانتية وحتى قيام الحرب العالمية الثانية 1841-1945، بيروت، ص 219

(2)- انظر:

Grundriss der deutschen Geschichte von den- Anfängen der Geschichte des deutschen volks bis Zur Gestaltung derentwickelten sozialischen Gesellschaft in der Deutschen Demokratischen Republik, Berlin 1979, S. 443,

Lasschitza H.Vietzke S., Deutschland und die deutsche Arbeiterbewegung 1933 -1945, Berlin 1964. S. 14,

Bergschiker, H. , Deutsche Chronik, Bilder,-Daten , Dokumente , Berlin 1982, S. 14.

(3)- انظر:

Zentrales Staatsarchiv Postdam , Aus- Wärtiges Amt Nr . 61123.
B1 . 182-184.

(4)- انظر:

Ebenda , B1 . 178.

(5)- رينتروب، سياسي نازي، ولد في 1893/4/30 وتوفي في نورنمبيرغ في 1946/10/16. درس الحقوق في لندن. وفي الحرب العالمية الأولى كان ضابطاً. أصبح وزير خارجية ألمانية الهتلرية بدءاً من 1938/2/4 وحتى عام 1945. كان أحد المسؤولين عن إشعال الحرب العالمية الثانية ولذلك حكم عليه بالإعدام.

(6)- انظر:

Akten Zur Deutschen Auswartigen Politik 1918-1949 , serie D. Bd 10. S. 425 , Dok 37. Baden , Frankfurt M., 1950.

(7)- نشطت إيطالية علاقاتها التجارية مع البلاد العربية. وكان لها جاليات ومدارس وكنائس وأديرة ومستشفيات وإرساليات دينية. في علم 1912، أصبحت ليبية مستعمرة إيطالية مجاورة لمصر وكذلك أنشأت إيطالية مستعمرات في إفريقية مجاورة للعربية السعودية واليمن، إضافة إلى النشاط الدعائي الكبير الذي كانت تقوم به محطة إذاعة باري. ولذلك اتجهت إليها بعض البلاد العربية مثل العربية السعودية واليمن والعراق لشراء الأسلحة، على الرغم من أن العرب كانوا يدركون خطورة الاستعمار الإيطالي وللمزيد أنظر:- هيروزوير، لوказ، ألمانية الهتلرية والشرق العربي، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصر، ص 27.

(8)- انظر:

Lexikon zur Parteiengeschichte, Die Burgenlichen und Kleinburgerlichen Parteien und Verbände in Deutschland 1789-1905 in vier Bänden Leipzig 1983-1986, S. 27.

(9)- جوزيف غوبلز: سياسي نازي ولد في 1897/10/29 وتوفي منتحراً في 1945/5/1. تلقى معظم تعليمه عند الكاثوليك وحصل على الدكتوراة في عام 1921 من جامعة هايدلبرغ، أصبح مسؤولاً للحزب النازي في برلين منذ عام 1926. ومنذ عام 1933 أصبح وزير الدعاية في ألمانيا الهتلرية.

(10)- انظر:

Schell, K. Meinungsmanipulierung im Faschismus, Die Faschistische Propaganda-maschinerie- Bestandteil Staatsmonopolistischen Herrschaftssystems in Nazideutschland in: ZFG. 1969, S. 1288t.

(11)- انظر: Ebenda

(12)- انظر:

Lexikon Zur Parteiengeschichte, Bd. 3, S. 506

(13)- نوراث، مستشار سفارة الألمانية الهتلرية، ثم قنصل ومبعوث خاص لمجموعات الدفاع، وممثل وزارة الخارجية في فيلق إفريقيا؛
فون هتتغ: مستشار سفارة الألمانية الهتلرية، مفوض ورئيس مجلس الشرق في وزارة الخارجية الألمانية.

(14)- انظر:

Henrici, E. Die deutsche Kriegführung und das- Mittelmeer in den Jahren 1940 bis 1943.

Phil. Diss. Heidelberg 1945, S. 19;

Geschichte der Araber Von der Anfangen bis zur Gegenwart, Autorenkollektiv unter leitung V.l. Rathmann, Bd 4. Berlin 1986, S. 424.

(15)- بالدورفون شيراخ رئيس الشبيبة الهتلرية.

(16)- انظر: كرسيتان /ميشيل/ المسألة السورية المزوجة /دمشق 1984، ص57.

(17)- انظر: نفس المرجع.

(18)- انظر:

Tillmann, H. Deutschlands

Araberpolitik im Zweiten Weltkrieg, Berlin 1965, S. 76.

19-انظر:

Grobba. F. Irak. Berlin 1941;

Tillmann, H. , Deutschlands Araberpolitik in Zweiten Weltkrieg, 85 t;

Klingmuller, E. Agypten, Berlin 1942, S. 63 F.

(20)- انظر:

Zentrales Staatsarchiv Potsdam, Aus- Wartiges Amt Nr. 61179. Bl 156.

(21)- انظر:

Zentrales Staatsarchiv Potsdam, Auswartiges AmtNr. 61179. Bl. 91.

(22)- انظر:

Zentrales Staatsarchiv Potsdam, Auswartiges Amt Nr. 61123. Bl. 29 F

(23)- انظر:

Zentrales Staatsarchiv Potsdam, Auswartiges Amt Nr. 61123. Bl. 359.

(24)- انظر:

Zentrales Staatsarchiv Potsdam, And Auswartiges Amt, Film N1.5431, Bl. 255068

(25)- انظر:

Zentrales Staatsarchiv Potsdam, Bestand Auswartiges Amt. Film Nr 5411, Bl. 255065

(26)- شكيب أرسلان: قائد قومي سوري، لعب دوراً كبيراً في نشر الأفكار الوحدوية وخاصة بعد تعيينه رئيساً للوفد الدائم للجنة السورية الفلسطينية التي تشكلت بالقاهرة 1920. وطّد صلاته مع زعماء الحركات القومية في المغرب والمشرق.

(27)- انظر:

Zentrales Staatsarchiv Potsdam, Bestand Auswartiges Amt. Nr 61123, Bl. 35

(28)- انظر:

Zentrales Staatsarchiv Potsdam, Bestand Auswartiges Amt. Nr 61123, Bl. 360

(29)- من البديهي أن الاستعمار الإيطالي كان أشد شراسة وتكديلا بالعرب من الاستعمار الإنكليزي والفرنسي ومع هذا دأبت الصحافة النازية على تصوير الاستعمار الإيطالي بأنه مرغوب لدى الشعب العربي. أجريت دراسة على جريدة ألمانية (Niederdeutscher Beobachter) والتي تصدر في روستوك وهي الناطق الرسمي باسم الحزب النازي في مكلينبورغ.

وتبين خلال عام واحد بأن الصحافة النازية أصدرت فقط 12 مقالا عن ليبيا وجميع هذه المقالات بينت بأن العرب مرتاحين للاستعمار الإيطالي. في المقال الصادر في 11 نيسان 1939، كتبت الجريدة بأن الشعب العربي الليبي يرحب بزيارة غورنغ وباليو. وفي مقال 20 شباط 1939 كتبت الجريدة بأن إرسال إيطالية لقواتها وتعزيزها إلى ليبيا ضروري، في حين أصدرت 133 مقالا عن الاستعمار الإنكليزي و6 مقالات عن الاستعمار الفرنسي صوّرت وحشية الاستعمار ضد العرب.

وهذا يبين ديماغوجية الدعاية النازية فهي تريد مصلحتها فقط.

اسم البلد	كانون2	شباط	أذار	نيسان	أيار	حزيران	تموز	أب	ايلول	تشرين1	تشرين2	كانون1
سورية ولبنان	2	1	2	4	3	5	8	2	1	2	-	-
فلسطين	10	3	18	13	8	9	9	17	4	3	1	7
العراق	-	-	-	3	-	-	1	-	-	1	1	-
السعودية	1	-	-	-	-	-	2	-	-	1	1	-
مصر	1	1	2	4	1	2	5	3	-	3	2	1
ليبيا	2	3	1	1	2	-	-	1	-	-	1	1
الجزائر	-	-	1	-	1	-	1	-	-	-	-	-
تونس	2	3	8	1	1	2	-	-	-	-	-	-
المغرب	1	-	1	-	1	2	-	3	-	-	-	2
	19	11	33	26	18	19	26	26	5	10	6	12

مناطق الانتداب الإنكليزي	فلسطين 102	العراق 6	مصر 25	133	133
مناطق الانتداب الفرنسي	سورية ولبنان 30	الجزائر 3	تونس 18	المغرب 10	61
مناطق الانتداب الإيطالي	ليبيا 12	-	-	-	12

(30) - انظر: محافظة، علي، العلاقات الألمانية الفلسطينية، ص 444.
وهيزوير، لوكاز، ألمانيا الهتلرية والشرق العربي، ص 27.

(31) - انظر:

Kriegstagebuch des Okw (Wehrwachtsufuhrugstab) 1940-1945,
Bd II, Aufzeichnung vom 13.2.1941. S. 435.

(32) - انظر:

International Military Tribunal, Nazi- Conspiracy and Aggression, 8
Bde. Washington 1446. Dok Ps. 448.

(33) - انظر:

Der zweite Weltkrieg in Chronik und Dokumenten, hrsg V.H.A.
Jacobsen Darmstadt 1959, S. 244.

(34) - انظر: شيرر، ولیم، تاريخ ألمانيا الهتلرية، ترجمة خيرى حماد،
القاهرة 1982، ج 3، ص 385.

(35) - انظر:

Der zweite Weltkrieg in Chronik und Dokumenten, hrsg V.H.A.
Jacobsen Darmstadt 1959, S. 247.

(36) - غروبا: وزير ألمانيا مفوض في بغداد وجدة. وأثناء الحرب
العالمية الثانية كان المسؤول عن المسائل العراقية والمشرق وعلى مفتي القدس

أمين الحسيني ورشيد عالي الكيلاني وفوزي القاوقجي، وأيضاً رئيس اللجنة العربية في وزارة الخارجية.

(37)- انظر:

Zentrales Staatsarchiv Potsdam, Bestand Auswartiges Amt. Nr 61123, Bl. 170

(38)- انظر:

Zentrales Staatsarchiv Potsdam, Bestand Auswartiges Amt. Nr 61123, Bl. 177.

(39)- انظر:

Zentrales Staatsarchiv Potsdam, Bestand Auswartiges Amt. Nr 61123, Bl. 173-174.

(40)- عملت ألمانية الهتلرية على تشكيل فيلق عربي Arabischen Legion. وذلك من اجل مساعدتها في تنفيذ خططها العدوانية، هذا الفيلق تدرب في كاب سونيون Cape Sunion، وأشرف على تدريبه الأركان الخاصة ف Sonderstabes F وحتى آب 1942 توصلت ألمانية الهتلرية أن تضم إلى الفيلق 243 عربياً. وتغير اسم الفيلق العربي لأسباب سياسية تكتيكية إلى فصيلة التدريب الألمانية العربية. (Deutsch-Arabischen lehrabteilung) في تشرين الثاني 1942.

(41)- انظر:

Zentrales Staatsarchiv Potsdam, Bestand Auswartiges Amt. Nr 61123, Bl. 31.

(42)- انظر :

Tillmann, H. Deutschlands Araberpolitik Im Zweiten Weltkrieg, S. 316.

(43)- انظر : محافظة، علي، العلاقات الألمانية الفلسطينية، ص 257.

(44)- انظر :

Zentrales Staatsarchiv Potsdam, Bestand Auswartiges Amt. Film Nr 5165, Bl. 337284.

(45)- انظر :

Zentrales Staatsarchiv Potsdam, Bestand Auswartiges Amt. Film Nr 5165, Bl. 131.337284.